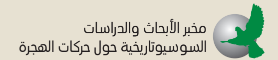
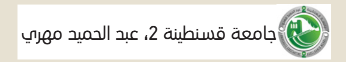
الرحلة
والهجرة

الهجرة إلى الشرق



الأستاذ الدكتور كمال فيلالي
(الإشراف والتقديم)





الرحلة والهجرة
الهجرة إلى الشرق
الأستاذ الدكتور كمال فيلالي

الهجرة إلى الشرق

سلسلة مطبوعات الملتقيات السنوية / 2017 (8)

لمخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة
عمارة مخابر العلوم الانسانية
ص ب. 317، جامعة قسنطينة 2، عبد الحميد مهري / الجزائر
الهاتف : 21 34 20 30 213+
الفاكس : 93 28 96 31 213+
البريد الالكتروني : kmlfilali@gmail.com
الويب : http://www.kml-filali.com

ردمك : 978-9931-657-00-2

سلسلة أعمال ملتقيات
مخبر الدراسات والأبحاث
حول الرحلة والهجرة





التنسيق والغلاف : زهيربن عميرة
ألكسندر للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة / الجزائر

الهجرة إلى الشرق

الهجرة إلى الشرق

سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث
حول الرحلة والهجرة
2017

الأستاذ الدكتور كمال فيلالي
(الإشراف)

لا تلزم المقالات بما فيها من أراء إلا أصحابها

سلسلة مطبوعات الملتقيات السنوية / 2017 (8)
لمخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة
عمارة مخابر العلوم الانسانية
ص ب. 317، جامعة قسنطينة 2، عبد الحميد مهري / الجزائر
الهاتف : 21 34 20 30 213+
الفاكس : 93 28 96 31 213+
البريد الالكتروني : kmlfilali@gmail.com
الويب : http://www.kml-filali.com

التنسيق والغلاف : زهير بن عميرة

ردمك : 978-9931-657-00-2
رقم الإيداع القانوني : السداسي الأول – 2017.

الفهرس

الهجرة الأوروبية غير الفرنسية إلى الجزائر المحتلة : هجرة مهجورة

أ. د. فضيل دليو
جامعة قسنطينة 3

مقدمة

لقد سبق وأن ذكرنا في مشاركة سابقة (ملتقى 2013) خاصة بالهجرة والصحافة غير الفرنسية في الجزائر المحتلة (1830-1962) أن الحديث عنهما نادر، وبالتالي فنحن اليوم أما الحالة نفسها تقريبا. فالناس لم يتعودوا كذلك على الحديث عن الهجرة غير الفرنسية إلى الجزائر المحتلة (1830-1962)، لأن الذاكرة الجماعية الخاصة بهذه الفترة وكذا التراث الفكري على الضفتين لم يحتفظا تقريبا سوى بالاستيطان الفرنسي البشري. ويرجع ذلك حسب البعض مثل «نواربيل» (Gérard Noiriel) إلى كون الدراسات «المتوسطية» أهملت بعض المكونات الأساسية لماضي الهجرة في غرب البحر الأبيض المتوسط، بسبب كون جزء كبيرا منه كان تحت سطوة

الفرنسيين، وحبيس العقلية الفرنسية التي كان شعارها «الجزائر هي فرنسا» ومنطقها السياسي-الاقتصادي «الحد أو التقليل من النفوذ غير الفرنسي (الأسباني، الإيطالي...) في الضفة الجنوبية للمتوسط» [1] (Crespo G. : 1999، 65). بينما يشير الواقع إلى وجود علاقات تاريخية مستمرة ومكثفة مع هجرات وشعوب أوروبية أخرى : أسبانية، إيطالية، مالطية، صقلية، ألمانية، سويسرية...

ولقد تم التركيز في هذه المحاولة المتواضعة على الهجرة الأسبانية إلى الجزائر، باعتبارها أهم تيار استيطاني أوروبي غير فرنسي عرفته الجزائر المحتلة لكونه الأهم ديمغرافيا والأكثر استمراريةً زمنيا.

- **الهجرة الأسبانية وأخواتها إلى الجزائر المحتلة**

عرفت الجزائر أول موجة «معتبرة» منظمة للمهاجرين إليها عام 1848 (Laborde G. S. : 2012)، سبقتها موجات ظرفية محدودة من ألمانيا منذ 1932 (Di Costanzo، J-M. : 1992) وتلتها موجات أخرى «تلقائية» أو «منظمة» ارتبطت بالظروف الاقتصادية والسياسية الطارئة لدول المصدر (إسبانيا، إيطاليا...) وبالسياسات الترغيبية المتتالية لسلطات الاحتلال.

1. قد يكون ذلك هو السبب الرئيس في تأخير الاهتمام الأوروبي بتاريخ المهاجرين الأوروبيين غير الفرنسيين إلى الجزائر حتى عشرية 1980، انطلاقا من بعض جامعات الجنوب الفرنسي والأسباني (مرسيليا مورسيا...)، حيث وجدنا أن عددا من الجامعيين يهتمون بهؤلاء المهاجرين : ففي عامي 1984 و1985 أنجزت ثلاث مذكرات جامعية في مرسيليا حول "الأسبان في وهران، والمالطيين والألمان في الجزائر"، كما نشرت عدة دراسات للأسباني "خوان باوتستا فيلار " (Juan Bautista Vilar) من جامعة مورسيا أعوام 1985، 1989، 2002... حول الهجرة الأسبانية إلى شمال أفريقيا، بالإضافة طبعا إلى ما قدمه "كرسبو ووجوردي" (CRESPO & JORDI) منذ عام 1986 من تغطية جزئية للهجرة الاسبانية إلى وهران والجزائر (1830-1889-1914).

لقد قلنا أعلاه أن الهجرة الأسبانية تعتبر أهم هجرة عددية غير فرنسية إلى الجزائر المحتلة [1]. ولقد تم رصد تكميم التواجد الإسباني في الجزائر المحتلة حتى استقلالها عام 1962 من طرف عدة كتاب أسبان وفرنسيين (G. Crespo, J.J.Jordi, K. Kateb...) [2]، وفي مقدمتهم «خوان باوتيستا فيلار» (Juan Bautista Vilar : 1985، 1989، 2002...) :

يرى هذا الأخير في بعض مؤلفاته (باللغتين الفرنسية والأسبانية) أن عدد المهاجرين الأسبان كان يزداد بوتيرة سريعة منذ عام 1838، أي قبل أول موجة منظمة للمهاجرين. ففي عام 1841 بلغ عددهم 9478 مهاجرا، ثم ارتفع عددهم عام 1881 إلى 114320، وبنمطية دورية تحكمها الأزمات السياسية والاقتصادية التي مست خاصة الجنوب الأندلسي سنوات 1847-48، 1856-57، 1868-69 (Kamel Kateb : 2001، 29)، مما جعلهم في الوقت نفسه ضحايا الاحتلال الفرنسي ووسيلته «الاستغلالية». ثم ازداد عددهم في السنوات الخمس الموالية لمطلع الثمانينات بحوالي 30 ألف، ثم بلغ عام 1889، 157560

1. تمثلت أبرز محطاتها في فتح الأندلس (القرن الثامن) ولجوء أعداد كبيرة جدا من الموريسكيين (حوالي مليون شخصا) إلى شمال الدول المغاربية عقب محاكم التفتيش الإجرامية (بين القرنين 15 و17)، تبعهم حوالي 60 ألف موريسكي شملهم مرسوم الطرد لعشرة جويلية 1610 (Chitour : 1999، 141). مرورا بهجرة الأندلسيين (طيلة تراجع المسلمين بين القرنين 13 و17) وبالعلاقات التجارية الصعبة بين الشاطئين في عهد الدايات (بين القرنين 16 و18)، والتي ختمت بمعاهدة السلم والتجارة عام 1786، ثم باستمرار التواجد الاسباني في الجزائر حتى بعد 1791، تاريخ مغادرة أسبانيا لجيوبها التاريخية (منذ 1504 و1509) في مركز وهران و"مرسى لكبير" (Vilar : 2002، 11-12)، وأخيرا بالتواجد الاستيطاني الأسباني أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر.

2. Jordi, Jean Jacques : Les Espagnols en Oranie, 1830-1914, histoire d'une migration, Africa Nostra, Montpellier, 1986… Gérard Crespo & J.J. Jordi : Les Espagnols en Algérois, 1830– 1914, histoire d'une migration, l'Atlanthrope, Versailles, 1991…

مهاجرا... و160 ألف مع نهاية القرن، مقابل أقل من 40 ألف في جارتها الأقرب جغرافيا : المغرب. لكن مطلع القرن الموالي شهد تطور عمليتي التجنيس والإدماج الفرنسيين للأسبان وتراجع الهجرة، مما قلص جذريا عدد المهاجرين (Vilar : 1975، 1989، 2002). وهكذا تلاشى ما كان يسمى في بعض أوساط المعمّرين الفرنسيين ب»الخطر الأسباني» على «المستقبل الفرنسي للجزائر».

واستمر هذا التراجع -الذي اعتبره «فيلار» نهائيا [1]- ما بين 1926 و1931، حيث بلغ نسبة 18.67%، ثم بلغ هذا التراجع أوجه في مقاطعة وهران (20.16%) وحدّه الأدنى في الجزائر العاصمة (16.05%). بينما عرفت مقاطعة قسنطينة زيادة بنسبة 17.02% من مستوطنيها الأسبان، بالرغم من أن ذلك كان في حدود رقمية مطلقة غير معتبرة (232 مهاجرا إضافيا) بحكم قلة عددهم الأصلي في قسنطينة.

ولكننا لن ندرك الأهمية العددية الكبيرة للمهاجرين الأسبان إلا بمقارنة عدد تواجدهم بعدد تواجد باقي المستوطنين الأوروبيين وخاصة الفرنسيين منهم :

فعلى العموم، كان عدد الجالية الأسبانية معتبرا وخاصة في مقاطعة وهران، التي كان تواجدهم فيها يعود إلى أزيد من قرنين من قبل، حيث فاق عددهم أحيانا عدد المستوطنين الفرنسيين (1830-1931)... بل إنه كان يفوقهم على المستوى الوطني مع نهاية القرن التاسع عشر. ففي عام 1841، مثلا، بلغ عددهم -كما مر معنا- 9478

1. وذلك بالرغم من تداعيات الحرب الأهلية في أسبانيا (1936-1939) التي أدت مؤقتا إلى ازدياد وتيرة الهجرة إلى الجزائر (بالآلاف من المعارضين للجنرال "فرانكو" عقب انتصاره) لأسباب أمنية وسياسية.

أسبانيا مقابل مثلا 11322 فرنسيا ومن أصل حوالي 35000 أوروبيا، الذين بلغ عددهم عام 1851 حوالي 131000، غالبيتهم غير فرنسيين (بلغوا حوالي النصف بعد الستينيات) والذين كان من بينهم حوالي 10000 ألمانيا (Kamel Kateb : 2001، 29) كانت هجرتهم «منظمة» (من طرف الدولة الفرنسية) بخلاف «تلقائية» هجرة باقي الجاليات (Di Costanzo, J-M. : 1992). وفي عام 1858 بلغت نسبة المستوطنين الأسبان في العاصمة 28% (Crespo : 2008، 2)، وفي عام 1881، بلغ عدد المقيمين الأسبان 114320 أسبانيا مقابل أكثر من 40 ألف إيطاليا، حوالي 15 ألف مالطيا، 3949 ألمانيا ومئات السويسريين... ومن بين 181000 أوروبيا، أي قرابة ثلثي المستوطنين. مما جعل الأوساط المستوطنة الفرنسية تتكلم عن «الخطر الأسباني»... قبل أن يتراجع عددهم بحدّة، نتيجة التجنيس الإجباري لعام 1889، ليصبح مساويا تقريبا لعدد المستوطنين الفرنسيين في الثلاثينيات (129900 أسبانيا عام 1939) وأقل من 55 ألف –مقابل أقل من 10 آلاف إيطاليا ومن أصل أزيد من مليون أوروبيا- عشية اندلاع الثورة التحريرية عام 1954 (14-Vilar، Juan Bautista : 2002، 13) والتي انحاز معظمهم ضدها. مع العلم أن حوالي 90 % منهم كانت جنسيتهم فرنسية (Crespo : 2008، 6). ولذلك أدى استقلال الجزائر إلى هجرتهم الجماعية «الدرامية» -بالتعبير الأوروبي- كبقية «الأقدام السوداء»، والذين لم يبقى منهم سوى حوالي 50 ألف (من أصل 1100000 مستوطنا) من الذين دعموا الثورة الجزائرية والقليل منهم كانوا أسبانا.

ولكن تجدر الإشارة قبل ذلك إلى عامل اندلاع الحرب العالمية الأولى الذي أدى إلى عودة الآلاف من الأسبان إلى «شبه الجزيرة الأيبيرية» (أسبانيا والبرتغال) بين عامي 1914 و1919.

وعلى العموم، كان تراجع عدد الأسبان ملحوظا بحدود عام 1921، حيث انخفض بحوالي 15 ألف مستوطنا عن عددهم عام 1889 (الذي بلغ حوالي 115 ألف)، بسبب استمرار تجنيسهم [1]، وتحسن الظروف المعيشية والمهنية في بلدهم الأصلي، وتفضيل بعضهم الهجرة إلى فرنسا والمنافسة المتزايدة في الجزائر (الأزمات الفلاحية الدورية، إدماج الأهالي في سوق العمل، الهجرتين المغربية والتونسية)، لكن عددهم بقي مهما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن عدد بقية المستوطنين فاق بقليل 200 ألف، وبأنه من أصل 524248 جزائريا من أصل أوروبي حوالي 40 بالمائة كانوا أسبانا.

في عام 1931 كان العنصر الأسباني مهيمنا ضمن مجموعة المستوطنين الأوروبيين في الجزائر. فمن بين المقيمين في الجزائر من أصول أوروبية، نجد 137759 أسبانيا مقابل 133128 فرنسيا، 53608 إيطاليا و14393 مالطيا (Vilar : 1993, 100). أما بالنسبة للـ524248 أوروبيا المولودين في الجزائر، تشير التقديرات إلى أن 40% منهم كانوا كليا أو جزئيا من أصل أسباني.

إن هذه الأرقام مدعمة بهجرة سياسية مكثفة، أثناء وبعد الحرب الأهلية الأسبانية لسنوات 1936-1939 (في الأسابيع الأخيرة للحرب، استقبلت الجزائر 25 ألف أسبانيا) (Rubio : 1974, 1977) تعطي فكرة جيدة عن وزن الجالية الأسبانية في الجزائر، وهو الوزن الذي اقتسمته تقريبا حتى تاريخ استقلال الجزائر مع المستوطنين الفرنسيين ذوي الأصول الأوروبية.

1. يكفي أن نقول أنه من أصل 549146 مقيما فرنسيا في الجزائر عام 1926، 108495 منهم كانوا مجنسين (60% من أصل أسباني و40% من أصل إيطالي، مالطي، الخ). مع ملاحظة زيادة عدد المجنسين في السنوات الموالية ولكنها كانت بوتيرة أكبر بالنسبة للإيطاليين والمالطيين (Vilar : 2002، 14).

وبالطبع كان معظمهم قادما من «جزر الباليار» وجنوب شرق أسبانيا (مورثيا، مالغا، فالنسيا، أليكانت، ألمرية، قرطجنة...) بحكم القرب الجغرافي والدوافع الاقتصادية والأمنية بعد وأثناء الحرب الأهلية الأسبانية (1936–1939) وحتى قبلها : سنة 1923 نتيجة الانقلاب العسكري للجنرال «بريمو دي ريفييرا» (Primo de Rivera) وسنة 1934 نتيجة القمع الوحشي الذي تلا انتفاضة «أستورياس» في الشمال (Geneviève Dreyfus–Armand : 2002, 61).

أما بالنسبة لأماكن توجههم ثم تواجدهم، فإنها تتفاوت عددا وبصورة كبيرة بين المقاطعات الإدارية الثلاث التي كانت مقسمة إليها الجزائر حينها : قسنطينة، العاصمة ووهران. حيث أن غالبيتهم استقرت بمقاطعة وهران إلى درجة أن بعض المسافرين والملاحظين اعتبروها مقاطعة احتلتها أسبانيا وليست فرنسا. تليها عددا العاصمة، بينما لجأت أقلية عددية صغيرة جدا إلى مقاطعة قسنطينة.

وفيما يلي جدول مقارن يوضح التطور الديمغرافي للمهاجرين الفرنسيين والأسبان وباقي الأوروبيين إلى الجزائر بين عامي 1833 و1931 :

السنة	العاصمة		وهران		قسنطينة		مجموع المقاطعات الثلاث		
	فرنسيين	أسبان	فرنسيين	أسبان	فرنسيين	أسبان	فرنسيين	أسبان	مجموع الأوروبيين
1833	2.731	981	340	266	412	44	3.483	1.291	7.812
1834	3.185	1.164	477	455	687	190	4.349	1.809	9.750
1835	3.205	1.418	729	743	954	233	4.888	2.394	11.221
1836	3.625	3.255	980	1.148	880	189	5.485	4.592	14.561
1837	4.262	3.346	1.211	1.602	1.119	241	6.592	5.189	16.770
1838	5.392	4.311	1.396	2.139	1.246	244	8.034	6.694	20.078
1839	6.861	4.735	1.432	2.446	1.238	212	9.526	7.393	25.000
1840	7.548	5.076	1.602	2.316	3.043	373	12.193	7.765	27.865
1841	9.963	7.027	1.865	3.347	3.669	422	15.597	10.796	37.374
1842	12.287	8.845	...	...	...	...	...	...	...
1843	13.260	8.164	...	...	...	...	28.163	...	59.186
1844	20.676	11.004	...	...	...	...	37.701	...	75.420
1845	34.553	17.052	5.695	7.795	6.091	488	46.339	25.335	96.119
1846	34.234	20.930	8.260	10.218	4.690	385	47.274	31.528	109.400
1847	32.986	16.702	11.297	11.737	9.413	611	53.696	29.050	103.863
1848	33.846	16.826	16.974	13.585	13.196	613	54.006	31.024	115.101
1849	30.897	17.456	15.959	15.562	11.149	641	58.005	33.659	112.607
1850	27.880	19.995	19.757	20.164	14.407	1.366	62.044	41.525	125.963
1851	28.548	19.816	21.535	20.412	20.967	1.522	66.050	41.750	131.283
1852	...	...	...	...	...	...	...	...	...
1853	...	...	...	...	...	...	77.558	36.615	136.194
1854	38.546	19.842	22.894	17.802	18.137	1.695	79.577	39.339	151.172
1855	41.444	20.552	26.150	20.346	19.375	1.671	86.969	42.569	163.950
1856	45.228	20.916	26.821	19.841	20.641	1.461	92.738	41.237	159.282
1857	51.231	23.365	29.277	21.342	26.422	1.558	106.930	46.245	180.472
…	…	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....
1866	51.840	27.205	35.697	28.455	34.582	2.850	122.119	58.510	251.942
…	….	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....
1872	55.831	30.605	37.111	37.658	36.659	3.103	129.601	71.366	279.691
…	…	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....
1876	82.973	34.660	56.486	55.877	59.333	3.501	156.365	92.510	344.749
…	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....
1882	98.807	42.043	70.575	68.383	64.555	3.894	195.418	114.320	412.435
…	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....
1886	.....	.....	64.715	93.262	.....	.....	219.071	144.530	487.715
…	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....
1891	.....	.....	.....	.....	.....	.....	267.672	151.859	548.300
…			.....	.....			.....	.....	.....
1896							318.137	157.560	595.929
…	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....	.....
1901	152.568	50.017	131.343	102.689	90.346	2.559	364.257	155.265	667.242
…	.....								
1906	.....						449.420	117.475	710.902
…									
1911							492.660	135.150	781.293
…									
1926		36.294		96.869		1.363	657.641	135.032	870.370
1931		30.710		77.333		1.595	733.242	109.821	920.788

المصدر : J.B. VILAR : 2002. 25-26.

- **أنشطة المهاجرين الأوروبيين من غير الفرنسيين :**

بالنسبة للممارسات المهنية لهؤلاء المهاجرين فالأغلبية منهم امتهنت الفلاحة، كما كانت هجرتهم في البداية مؤقتة أو موسمية، ولكنهم مع مرور الوقت استوطنوا في الجزائر بعد تمليكهم الأراضي، كما تنوعت أنشطتهم الاقتصادية والمهنية :

«بعد الانتهاء من عملية البذر الخريفية كان المُياوِمون الأسبان يهرعون إلى البلاد الأفريقية المجاورة هربا من البطالة الموسمية، ثم يعودون إلى موطنهم في موسم الحصاد (يونيو). أما في سنوات الجفاف والأوبئة والفيضانات وشلل العمل الزراعي فتحدث موجة نزوح جنوبية ضخمة عبر المتوسط. إن قرب الجزائر وطبيعتها ومناخها المتشابهين مع مناطق الهجرة، وسرعة السفر وسعره المنخفض وسهولة العودة وضمان لقاء مواطنين وأصدقاء وعمل، وذاكرة التجارب الإيجابية السابقة... تشكل كلها عوامل جذب لا تقاوم بالنسبة للعمال المعوزين... وبعد الانتهاء من العمل في الحقول، فإن الذين تمكنوا من تأمين فرص عمل مستدامة يبقون في البلاد. وبعد ذلك يجلبون أسرهم لتتحول الهجرة الموسمية إلى هجرة مؤقتة كخطوة أولى نحو الإقامة الدائمة (الاستيطان)» (Vilar 2002, 13).

إن التراث العلمي المتوفر حول هذا التواجد الأوروبي غير الفرنسي في الجزائر المحتلة شمل دراسات حول أهم أنشطة هؤلاء المهاجرين : الفلاحة الموسمية، المَزارع، البناء، المناجم، صيد السمك، الحرف

التقليدية، التجنيد (في الفيلق الأجنبي الفرنسي)، التجارة البيْنيّة، العلاقات بين مختلف المجموعات المهاجرة، المسرح، الصحافة... [1]

بالنسبة للمالطيين، تذكر بعض المراجع أنهم تخلوا جماعيا عن جنسيتهم البريطانية (كانت مالطا آنذاك تابعة لبريطانيا : 1800-1964) ليتبنوا الجنسية الفرنسية، وأنهم تميزوا بكثرة ترحالهم، مع تركز نشاطهم في النقل البحري وفي موانئ وبساتين مدن عنابة، سكيكدة، العاصمة... (Vanhove Martine : 1994, 166-167)...

أما بالنسبة للعدد المحدود من البلجيكيين والسويسريين (388 سويسريا عام 1854 في بعض قرى سطيف -عين أرنات خاصة) فلكونهم «فرانكوفونيين» (معظمهم من جنيف) اختلط عملهم الزراعي والإعلامي بنشاط الفرنسيين.

وأما الألمان، فاستيطانهم كان محدودا جدا ومؤقتا (1832-1890) وتميز بتراجع متزايد بعد 1855 (500 عام 1832، 10000 عام 1855، 5722 عام 1876 و3949 مهاجرا عام 1881) إلى حد الانقراض، رغم تركيز الدعاية الفرنسية الترغيبية عليهم وعلى السويسريين (لأسباب اقتصادية : اشتهروا بأنهم «خدّامين» و«مهاجرين»)، فلقد صادفت فترة الثمانينات تقلص عددهم إلى أقل من أربعة آلاف مهاجرا. ثم إن العدد المرتفع للوفيات والعودة إلى أوروبا والتجنيس جعل هذه الجنسية

1. بالنسبة لحالة النشاط الصحافي لهؤلاء المستوطنين، يأتي في مقدمته، وبفارق كبير جدا، النشاط الإعلامي الأسباني والذي يتم عادة تجاهله في التأريخ للصحافة في الجزائر المحتلة (1830-1962). ولقد عرضت بعض حيثيات ذلك في عمل سابق : الهجرة والصحافة غير الفرنسية في الجزائر المحتلة (1830-1962)، الندوة الوطنية الخامسة حول "الهجرة المغاربية المغاربية بين الماضي والحاضر"، مخبر الدراسات والأبحاث السوسيوتاريخية حول حركات الهجرة، قسنطينة2، 2013.

من المستوطنين تنقرض وخاصة بعد ذوبان ما تبقى منها في الفرنسيين (Kamel Kateb : 2001, 29) (Di Costanzo, J-M. : 1992).

تتمثل أهم خصائص الجالية الألمانية (مناطقهم الأصلية، مناطق استيطانهم، تطور أعدادهم، نشاطاتهم...) فيما يأتي : كان معظمهم (75%) قادما من جنوب وغرب ألمانيا منتشرين تدريجيا وبالتساوي تقريبا بين مقاطعات العاصمة، وهران وقسنطينة. وكان عددهم حتى 1846 يمثل إحدى أكبر الجاليات الأوروبية في الجزائر. لكنه انخفض في فترة 1856–1872، حيث بلغ تمثيله حوالي 03-05% من المستوطنين الأوروبيين (المرتبة 5)، ليتقلص لاحقا إلى حدوده الدنيا. ومن العوامل التي ساهمت في ذلك : الظروف البيئية (الحرارة وقصَر النهار وقلة المياه) وسوء الاستقبال والأوبئة واللغة وقلة مردودية نشاطاتهم الزراعية والثورات الشعبية وكره المستوطنين الفرنسيين لهم والتجنيس (بعد 1889)... أما أهم نشاطاتهم فتمثلت في زراعة البطاطس والكروم وتربية الخنازير والتجارة والفندقة والحرف والتجنيد... (70% منهم بصفة مُياومين، مستوطنين ممّلكين ومجندين) (Di Costanzo, J-M. : 1992).

وبقي في الأخير أن نشير إلى نشاطات الجالية الإيطالية التي كانت تغلب عليها مهنة صيد السمك تليها مهن : البناء والمناجم في كبرى المدن الجزائرية الشاطئية، والتي بلغ فيها عددهم 21009 إيطاليا عام 1936، لينخفض تدريجيا، ليصل في بداية الخمسينيات إلى أقل من عشرة آلاف في أهم مدن تواجدهم : عنابة، العاصمة، سكيكدة ووهران (Crespo, Gérard : 1999, 65-72). وبالطبع، لا تعبر هذه الأرقام عن العدد الحقيقي للمهاجرين من أصول إيطالية الذي انكمش تدريجيا

بسبب قانون التجنيس لعام 1889، حيث كان حينها عدد الإيطاليين يقدر بـ50 ألف شخص أي حوالي 10% من المستوطنين الأوروبيين ليرتفع عددهم عام 1930 إلى 53 ألف مستوطن، تجنس حوالي نصفهم واستقر في الجزائر لأسباب اقتصادية، كما عانت الهجرة الإيطالية من تراجع واضح بين 1920 و1930 بسبب وجود بدائل اقتصادية أفضل في فرنسا وليبيا التي وقعت حينها تحت وطأة أمبراطورية موسوليني (Crespo, Gérard : 1999, 65-72).

خاتمة :

إن ما ذكرناه من معطيات تاريخية يؤكد، أولا، الأهمية التاريخية لمتغيرات ديمغرافية غير فرنسية عامة وأسبانية خاصة تم تجاهلها سياسيا وأكاديميا بصفة كلية أو جزئية في التراث المتخصص الفرنسي والجزائري، وذلك بالرغم من تأثيراتها الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الفضاء «الجغرافي-التاريخي» المتوسطي.

كما تجدر الإشارة ثانيا، إلى الحاجة إلى المزيد من البحث الأكاديمي الكمي والكيفي لإثراء ما ذكر، وخاصة حول دوافع وأنشطة المستوطنين الأوروبيين غير الفرنسيين في الجزائر المحتلة، وعلى وجه أخص بعد ثلاثينيات القرن الماضي (بفعل عوامل الحرب الأهلية الأسبانية والحرب العالمية الثانية...) وحتى استقلال الجزائر عن فرنسا عام 1962...

المراجع

- فضيل دليو : «الهجرة والصحافة غير الفرنسية في الجزائر المحتلة (1830–1962)»، الندوة الوطنية الخامسة حول «الهجرة المغاربية المغاربية بين الماضي والحاضر»، مخبر الدراسات والأبحاث السوسيوتاريخية حول حركات الهجرة، جامعة قسنطينة2، 06–07 نوفمبر 2013.

- Chitour Chems Eddine : L'Éducation et la culture en Algérie. Des origines à nos jours, Alger, ENAG, 1999.
- Crespo, Gérard : les Italiens en Algérie, 1830-1960, Histoire et sociologie d'une migration, Nice, 1994. In : Revue Ensemble, N° 217, Avril 1999, Pages 65 à 72. In : http ://bone.piednoir.net/titre_rubrique/histoire_de_bone/italiens.html. 10/11/2013.
- -- Les Italiens en Algérie, Histoire et Sociologie d'une migration, 1830-1960, Presses Universitaires du Septentrion, 1999.
- -- : Les Européens voyageurs ; de l'Europe du Sud vers le Maghreb puis vers la France, 1830-1962 Journée d'études à l'initiative de French Lines Montpellier, 14 novembre 2008. 7pages in : www.frenchlines.com/.../gerard_crespo_les_europeens_voyageurs.pdf
- Di Costanzo, J-M. : L'émigration allemande en Algérie de 1830 à 1890, Revue « L'Algérianistée », N°54, mars 1992. In : http ://www.alger-roi.fr/Alger/colonisation/textes/2_emigration_allemande_algerianiste57.htm. 14/10/2006.
- Geneviève Dreyfus-Armand : L'émigration espagnole durant la période franquiste in : Migrance 21, deuxième trimestre 2002. ESPAGNE, PAYS DE MIGRATIONS in : www.generiques.org/images/pdf/Migrance_21fra.pdf
- Kamel Kateb : Européens, «indigènes» et juifs en Algérie (1830-1962) : représentations et…, PUF, 2001.
- Laborde, G. S. : Essai chronologique des principaux évènements architecturaux et historiques de la ville d'Alger, in : http ://alger-roi.fr/Alger/urbanisme/textes/24_dates_immeubles_laborde.htm, 10/2012.
- Leselbaum, Charles : "Notes sur EL Correo Español de Orán". Extrait des Mélanges Offerts Charles Vincent Aubrun. Paris, Edition Hispanique, 1975. In : Djamel Latroch : La comunidad española en Argelia (1880-1930) : Aproximación social y aspectos de sociabilidad (Dep. de Historia Contemporánea. UCM, Madrid) in : *www.ucm.es/info/hcontemp/ Djamel_Latroch.pdf* 16/4/2013.
- Montoy, Louis Pierre : La presse dans le Département de Constantine (1870-1918), Thèse de doctorat d'État, Université de Provence, Institut d'Histoire des Pays d'Outre-Mer, Volume I, 1982.

- Rubio, J. : Emigración española a Francia, Barcelona, Ariel, 1974.
- Vilar, Juan Bautista : “La presse Espagnole en Algérie (1880-1931)”, in J. Déjeux et D. Pegeaux (sous la dir.), L’Espagne et l’Algérie au XX^{e} siècle. Contacts culturels et création littéraire, Paris, Ed. L’Harmarttan. 1985, pp. 53-65.
- -- : Immigration et présence espagnoles en Afrique du Nord (XIX^{e} et XX^{e} Siècles), in : Migrance 21, deuxième trimestre 2002. Espagne, Pays de Migrations. in : www.generiques.org/images/pdf/Migrance_21fra.pdf.
- -- : Los españoles en la Argelia francesa (1830-1914), Madrid, Centro de estudios históricos, Universidad de Murcia. 1989.
- Vanhove Martine : La langue maltaise : un carrefour linguistique, Revue du monde musulman et de la méditerranée, 1994, vol. 71 N°71 pp. 167-183, 166-167.